العرب في الهستدروت

د. عزيز حيدر

يتميّز معظم المؤسسات الحكومية والعامة في اسرائيل بشموليته، من حيث تعدّد المهام والوظائف التي يقوم بها، الى درجة ان هناك صعوبة كبيرة في تحديد مهام، أو مجال نشاط، كل مؤسسة، ومنها الهستدروت.

تعتبر دراسة التمييز الذي تمارسه الهستدروت ضد العرب في اسرائيل من المهمّات الأساسية في أي بحث في اشكال التمييز المتبعة في اسرائيل. تنبع هذه الأهمية من المكانة الخاصة التي تحتلها الهستدروت في المجتمع الاسرائيلي. فالهستدروت هي عبارة عن تنظيم متميّز، فريد في نوعه، وليس له مثيل في العالم: فهي ليست مجرّد شركة اقتصادية كبيرة؛ وهي ليست نقابة عمّال عادية؛ وكذلك فهي ليست مؤسسة تأمين صحي، أو خدمات اجتماعية. ولكن الهستدروت هي كل هذه الأشياء معاً: فهي أضخم جسم للاستثمار الزراعي والصناعي في البلاد؛ وهي تشغل جزءاً كبيراً من القوى العاملة؛ وفي الوقت عينه، هي نقابة العمّال وممثلتهم لدى ارباب العمل؛ وهي تملك أكبر، وأوسع، شبكة خدمات صحية في البلاد، وتقدّم خدمات اجتماعية ليس لها حصر. وهي، كذلك، صاحبة دور متميّز في الاستيطان التعاوني؛ وتملك أكبر التعاونيات في مجالات عديدة؛ وتملك أكبر شركات التسويق؛ بالاضافة الى دورها في الانتاج. باختصار، تعتبر الهستدروت، الى حدّ بعيد، بمثابة دولة داخل دولة. من هنا يكتسب درس السياسة التي تمارسها الهستدروت تجاه أي فئة سكانية في اسرائيل أهمية كبرى. ودرس هذه السياسة تجاه العرب في اسرائيل لها أهمية خاصة، نظراً الى ان الهستدروت أخذت على عاتقها، منذ اقامة اسرائيل، مهام كثيرة، من المفروض ان تقع على عاتق الدولة.

لكن درس التمييز ضد العرب في اسرائيل من جانب الهستدروت ليس سهلاً، كما هو الحال بالنسبة الى درس أوضاعهم بشكل عام. فهذا الموضوع ما زال مهملاً الى حدّ بعيد في البحث، وهو لا يحصل على اهتمام في النشرات الرسمية، الّا من أجل الدعاية. لذلك، فان المعطيات التي نجدها في هذه النشرات هي موضع شك، وخصوصاً تلك النشرات التي تصدر في الفترات القريبة من موعد الانتخابات. ولكن، في الظروف القائمة والامكانات المتوفّرة، لا بدّ من الاعتماد على المعطيات الرسمية. ومن أجل التدقيق في هذه المعطيات، قمنا بمقارنة نشرات الهستدروت باللغة العبرية، مع نشراتها باللغة العربية. وقد أدّت هذه المقارنة، في معظم الحالات، الى اكتشاف زيف المعطيات المنشورة باللغة العربية. ولكن الأهمّ من ذلك، والطريف في الموضوع، ان النشرات باللغة العربية لا تحتوي على جزء كبير من المعلومات عن نشاطات الهستدروت في مجالات عديدة. وقد وجدنا، من خلال المقارنة، ان السبب الرئيس لذلك هو محاولة اخفاء تلك المجالات التي تنشط فيها الهستدروت، وخاصة في مجال تقديم الخدمات التي تتعلّق بحقوق أعضاء الهستدروت، عن القارىء العربي، وكأنها غير موجودة.